

جامعــة الأزهــــر
كليــة أصــول الديــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

من أساليب القرآن الكريم
في نقد الشبهة

إعداد الدكتور

محمد بن صلاح الصاعدي
الأستاذ المساعد بجامعة الباحة
كلية العلوم والآداب بالمندق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب]

أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي هـدي محمـد (ﷺ)، وشـرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضـلالة، وكـل ضـلالة فـي النار.[١]

فإن شرف علم التفسير لايخفى[٢] فشرف العلم بشرف المعلوم؛ ولمّا كـان كلام الله أشرف الكلام كان العلم به أشرف العلوم؛ فإن شـرف العلـم بـشرف متعلَّقه ، يقول الإمام الطبريُّ (رحمه الله) (ت: ٣١٠) في مقدمـة تفـسيره مبينـاً أهمية علم التفسير: ...أحقَّ ما صُرِفت إلى علمه العناية، وبُلِغت فـي معرفتـه الغاية، ما كان لله في العلم به رضىً، وللعالم به إلى سبيل الرشـاد هـدىً، وأنَّ أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرْية فيه، الفـائزُ بجزيل الذخر وسنىّ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بـين يديـه ولا مـن خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حَميدٍ[٣].

وإنّ من أنفع النعم للعبد وأعلاها= أن يشغله ربه بالقرآن تلاوةً وتجويـداً، وحفظاً وتفسيراً وعملاً وتدبُّراً، كما قال ابن المنـذر (رحمه الله) (ت: ٣١٩): مـن أنفع ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه، وفي رمسه ومثواه[٤].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي (ﷺ) يعلمها اصحابه، وقد أخرج الحديث النسائي في سننه (المجتبى) كتاب الجمعة ١١٦/٣(١٤٠٣)، وابـن ماجـه فـي كتـاب النكـاح ٦٠٩/١(١٨٩٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجـه٣٩٢/٤(١٨٩٢)، وانظر خطبة الحاجة للألباني ص١٠.

(٢) الإتقان ٤٥٢/٢.

(٣) جامع البيان ٦/١.

(٤) تفسير ابن المنذر ٧/١.

ولقد حظي القرآن الكريم بما لم يحظ به - أو قريبٍ منه - كتابٌ، من حفظ ألفاظه، واستخراج حكمهِ وأحكامه، والوقوف على معانيه، وتذوق بلاغته، وبيان إعجازه، ودراسة أساليبه..فكثرت المصنفات والمؤلفات وتنوعت بين بسيطٍ ووسيطٍ ووجيزٍ.

وسيظلٌّ كتاب الله غضاً طرياً، وبحرا زاخراً باللؤلؤ والدر والمرجان، مهما قرأه القارئ، وأعاده، فسيظفر في كل مرّة منه بعجائب من عجائبه التي لاتنقضي.[١]

وسبب اختيار البحث: معرفة تنوع الأسلوب القرآني في نقد الشبه، وتذوق أساليب القرآن والوقوف على لطائفه وألوان إعجازه.

وتكمن أهمية البحث في أنّ دراسة أساليب القرآن من أكثر موضوعات علوم القرآن أهمية؛ لأنها تكشف عن إعجازه وأسرار بلاغته؛ لذا اهتمّ كثير من العلماء بدراستها، ومن أعظم المصنفات السابقة التي تناولت أساليب القرآن: "البرهان في علوم القرآن" للزركشي (رحمه الله) (ت: ٧٤٥) فقد جعل أساليب القرآن مقصوده الأعظم من تأليف الكتاب؛ فقال (رحمه الله): النوع السادس والأربعون: أساليب القرآن وفنونه البليغة، وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب، وهو بيت القصيدة، وأول الجريدة، وغرة الكتيبة، وواسطة القلادة، ودرة التاج، وإنسان الحدَقة،..شريف المحل، عظيم المكان،..وكيف لايكون؛ وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين.أهـ[٢].

---

(١) نظرات لغوية في القرآن الكريم للدكتور صالح العايد ١٢.

(٢) البرهان ٥٤٧/١، ومن الدراسات المعاصرة للأسلوب القرآني: "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" تأليف محمد عبدالخالق عظيمة، و"منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث" أ.د. مهدي قيس عبدالكريم.

فأساليبه لاتغفل جانب اختلاف الأخـــلاق و الطبـــاع والوســيلة المناســـبة لمخاطبتها وقد أشار الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣) إلى هذا المعنى بقوله: ... القرآن جاء بأسلوبٍ من الإرشاد قويم، ذي أفنانٍ لا يحول دونـــه ودون الولـــوج إلى العقول حائلٌ، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبـــائع إلا سلكه إليها تحريضاً أو تحذيرا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتنـــاء ثمـــار أفنانه."(١).

فأسلوبه في الإقناع ممتِع، يملك على المؤمنين أفئدتهم، فتلين وتخشع مـــن خشية الله، وتستنير بنور الإيمان الذي يزداد كلما تُلِيَت آياته بتدبُّر وتبصُّر(٢).

وسأتناول في هذا البحث أسلوبا – أراه – من أساليب القـــرآن المتنوعـــة، وطريقة من طرائقه المختلفة في نقد الشبهة ، وهو الاكتفاء في نقـــدها بوصـــف قائلها، وما أعدّ له من العقوبة، ذاكراً للأمثلة والشواهد على ذلك مـــن القـــرآن الكريم، فلس للمتأخر غير جمع الدرر، والتقاط الغـــرر، كمـــا قـــال الواحـــديُّ (رحمه الله) (ت: ٤٦٨): غير أنَّ المتأخر بلطيف حيلته ودقيـــق فطنتـــه، يلـــتقط الدرر، ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد على صدر الكعـــاب، يـــروق المتـــأملين، ويؤنق الناظرين، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين وفي العقبى ثـــواب رب العالمين(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٤٠/١٥.

(٢) دراسات في علو القرآن لمحمد بكر إسماعيل ٣٢٧/١.

(٣) **البسيط** ٤١٧/١.

وقد جعلت هذه الخطة مشتملة على مايلي:

مقدمة: وتشتمل على سبب اختيار البحث وأهميته.. والدراسات السابقة والمعاصرة في الأسلوب القرآني.

ومبحثين:

المبحث الأول: أساليب القرآن

وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأسلوب وأهميته.

المطلب الثاني: تنوّع أساليب القرآن.

االمطلب الثالث: من أساليب القرآن في نقد الشبهة.

المبحث الثاني الأمثلة التطبيقية

خاتمة:

منهج البحث

وقد جعلت منهجي في البحث كالتالي:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفق رواية حفص عن عاصم بالاعتماد على النسخة الحاسوبية لمجمع الملك فهد، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الأصل.

٢- تخريج الحديث بعزوه إلى مصدره الأصلي. فإن كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالتخريج منهما، وإن كان في غيرهما فأعزوه إلى كتب السنة الأخرى، وأنقل ما أجده من كلام أهل العلم عليه صحة وضعفا.

٣- توثيق أقوال أهل العلم من كتبهم المطبوعة، وأذيّل ذلك في الحاشية بذكر الجزء والصفحة.

٤- عزو الشاهد الشعري إلى مصدره، ونسبته إلى قائله إن أمكن.

٥- تذييل البحث بقائمة المصادر والمرجع.

٦- جعلت في آخر البحث فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

أساليـــب القرآن

المطلب الأول

تعريف الأسلوب وتمايز الأسلوب القرآني

الأُسلوب في اللغة: الطريق والوجه والمذهَب يقال: أَنتم في أُسلوبِ سُـوءٍ ويجمَع أَسالِيبَ. والأُسلوب: الطريق تأْخذ فيه، والأُسْلوب بالضم: الفَنُّ يقال: أَخَذَ فلانٌ في أَسالِيبَ من القول: أَي: أَفانِينَ منه، وإِنَّ أَنفه لفـي أُسـلوبٍ إِذا كـان مُتكبِّراً قال:

أُنوفهم بالفَخر في أُسْلُوبِ * وشَعَرُ الأَسْتاهِ بالجَبوبِ[1]

أي: من الفخر؛ **والجَبوب:** وجه الأرض الغليظ خاصّةً[2].

فالأسلوب طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنسّقة لأداء المعاني. والأسلوب القرآني: هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه (١)، ولقد تواضع العلماء قديما وحديثا على أن للقرآن أسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب العرب في الكتابة والخطابة والتأليف. وقد وصفه الدكتور محمد عبدالله دراز

---

(١) لسان العرب (سلب) ٤٧١/١.

(٢) جمهرة اللغة ١٧٦/٣.

بقوله: "الأسلوب القرآن هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها:

لسنا ندري والله ماذا نقول لك في أسلوب معجز في وصفه، كما هو معجز في نفسه؟ غير أننا نقول كلمة هي جملة القول فيه، وهي أنه "تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلها على تباعد ما بين أطرفها"(١).

وكان العرب الفصحاء يدركون هذا التمايز في الأسلوب القرآني.

(١) النبأ العظيم ١/١٤٣.

المطلب الثاني
تنوع أساليب القرآن

تنوع الأساليب من تصريف الايات التي ذكرها الله سبحانه في كتابه: تارةً بالترغيب، وتارةً بالترهيب، وتارةً بالوعد، وتارةً بالوعيد، وأخرى بالتذكير بالنِّعم، ومرةً بالدعوة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ۝٤١﴾ [الإسراء/٤١]. قال أبوحيان (رحمه الله): "نوَّعنا من جهةٍ إلى جهةٍ، ومن مثالٍ إلى مثالٍ"[١]. وللقرآن الكريم أساليبه وفنونه البليغة... وهي سرٌ من أسرار بلاغته.. لايغادر مسلكاً إلى ناحية من ناحية الأخلاق والطباع إلا سلكه إليها، فأسلوبه من الإرشاد قويم كما نصّ عليه ابن عاشور بقوله: القرآن جاء بأسلوبٍ من الإرشاد قويم، ذي أفنانٍ لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائلٌ، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضاً أو تحذيرا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه."[٢].

فأساليب القرآن تبرز إعجاز النظم، وتطلع على أسراره الدقيقة؛ لذا اهتم كثير من العلماء بدراسة أساليبه؛ فالزركشي (رحمه الله) (ت: ٧٤٥) كما أسلفنا جعل أساليب القرآن مقصوده الأعظم من تأليف كتابه الذائع الصيت "البرهان في علوم القرن".[٣].

---

(١) البحر المحيط ٣٦/٦.

(٢) التحرير والتنوير١٥/٤٠.

(٣) البرهان ٥٤٧/١.

فأساليبه متنوّعة، وطرائقه مختلفة، وتستوعب جميع النَّاس على اختلاف قيمهم وعاداتهم، وتباين طبائعهم، وأفهامهم، وثقافاتهم، وتراعي طبيعة النفس البشرية.

وتغير الأسلوب، والتفنن في الخطاب له أثر جليل من الناحية النفسية، فتتمكن المعاني في النفس[١]. والأسلوب القرآني يلاحظ فيه الانتقال في شتى الاتجاهات في لحظات متقاربة متتالية، وأحيانا تكون مترادفة. فمن مشرّع حكيم يقرّ...الأنظمة في تؤدةٍ وأناةٍ ورويّةٍ، إلى وعيدٍ وتهديدٍ لمن يرغب عن التشريعات ويريه سوء المصير، إلى غافرٍ يقبل توبة العبد إذا تاب وأناب[٢]،

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبوشهبة ٣٧٧/١.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن د.مصطفى مسلم١٤٣/١.

المطلب الثالث
من أساليب القرآن في نقد الشبهة

كنت أقرأ في سورة الرعد، فأوقفتني آيةٌ ترد على منكــريِّ البعــث، فلــم تحاجّهم محاجَّةً عقليةً، بل اكتفت بوصفهم الوصف القبيح، وذكر ما أعدِّ لهم من الأغلال والعــذاب: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الرعد: ٥] فرأيت أنَّ هــذا أســلوباً مــن أساليب القرآن في نقد الشبه وهو الاكتفاء في نقدها بوصف قائلها وما أعدّ لــه من العقوبة. وهذا من تنوّع أسلوب القرآن الكريم تارةً يفند الشبهة تفنيداً عقليــاً، وتارةً لايفصل تفصيلا عقليا في ردها لأن مجرد النظر إليها وتصورها يجــزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها. وهذا ضربٌ من ضروب البلاغــة؛ فــالقرآن جاء بأسلوبٍ لا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا ســلكه إليها، والنفوس والأخلاق والطبائع تتفاوت، فلكل منها أسلوبٌ يناسبها؛ فــبعض النفوس لاينفع فيها الحجج العقلية، ولا البراهين الساطعة وإنما يناسبها وصــفها بالصفات المنفرة وتهديدها بالعذاب والنكال، وهذا من تنــوع أســاليب القــرآن: براهين وتهديد ووعدٍ وعيدٍ، يفصل في موضع ويجمل فــي موضــع، يعــرض الشبهة والرد العقلي عليها في مواضع كثيــرة فيحــاج المعانــدين والجاحــدين محاجةً عقليةً، وأحيانا يعرضها ويكتفي في نقدها بوصــف قائلهــا وتهديــده بالعذاب والنكال، والعرب يستغنون بالشيء عن الشيء[1] وهذا الــضرب مــن

(١) انظر:الكتاب ٢٥/١.

الأساليب من البلاغة الإيجازية كقوله تعـالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٣]. قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ فلم يقل الله (ﷻ): تقاتل في سبيل كذا، وهذا من باب الاكتفاء باحد الوصفين عن الآخر.....وهو من البلاغة الإيجازية[(١)]..وهـذا التنوع لون من ألوان إعجاز القرآن، فتغيير الطرائـق فـي مواجهـة الـشبه والمقترحات الفاسدة ينسفها من أصولها، ويفندها تفنيداً، ويمحوهـا مـن ذهـن المتلقي، وهذا من عجائـب كتـاب الله الـذي لاتنقـضي عجائبـه، ولاتفنـى كنوزه.ولأهمية هذا الأسلوب وهو الاكتفاء في نقـد الـشبهة بوصـف قائلهـا وعقوبته في القرآن الكريم؛ رأيت أن أجمع بعض الآيات التـي تؤصـل لهـذا الأسلوب وتقعّد له؛ فالدراسة التطبيقية فيها تُثبِّيتٌ للمعلومات، وإظهـارٌ لخبايـا الموضوعات، وزيادة الدرس قوة إلى قوة.[(٢)]

وليست الأمثلة التي سأذكرها على سبيل الحصر، وإنما هي كما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين ٧٩/١، ٧٨.

(٢) انظر: المحرر د. مساعد الطيار ص١٢.

(٣) نهاية الأرب ١٢٦/٢، مجمع الأمثال ١٢٦/١.

المبحث الثاني

الأمثلة التطبيقية

المثال الأول:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الرعد: ٥]

هذه من شبه المنكرين للبعث وهي صعوبة الإعادة بعد الفناء، يعيدونها تكراراً ومراراً، ونجد القرآن في مواضع يحاجهم محاجةً عقليةً بإحياء الأرض بعد موتها، وتارةً بإيجادهم بعد العدم، وتارةً بالإشارة على أنَّ القدرة على البداية قدرةٌ على الإعادة، وتارة بالترهيب لمن أنكر البعث واليوم الآخر..وفي هذا الموضع يكتفي في نقد شبهتهم بوصفهم بالكفر وتهديدهم بالأغلال التي يقاسونها فيها والخلود السرمديِّ فيها، وهذا أسلوبٌ قرآنيٌّ، وهو أنَّ بعض النفوس لاينفع فيها الحجج العقلية ولا البراهين الساطعة وإنما يناسبها وصفها بالصفات المنفرة وتهديدها بالعذاب والنكال، ولاشك أنّ هذا من تنوّع أساليب القرآن ومراعاته لطبائع النفوس، يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ يا محمد، من هؤلاء المشركين المتَّخذين ما لا يضرُّ ولا ينفع آلهةً يعبدونها من دوني، أو وإن تعجب من عظمة الله تعالى وكثرة أدلِّة توحيده، أو إن تعجب من عدم إيمانهم بأنَّ القرآن منزلٌ من الله، فعجبٌ إنكارهم البعث وقولهم: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ﴾وبَلِينا فعُدِمنا ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ إنا لمجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقًا جديدًا كما كنا قبل وفاتنا!!؛ تكذيبًا منهم بقدرة الله، فقاسوا قدرة الخالق بقدرة

المخلوق، فجحدوا الثواب والعقاب والبعث بعد الممات، وهم الذين في أعنــاقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ هم سكان النــار يوم القيامة ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هم فيها ماكثون أبــدًا، لا يموتــون فيهــا، ولا يخرجون منه[(١)].فتعجبهم في غير محلِّه، بل العجب الحقيقي تعجبهم مــن قــدرة الله[(٢)].

وعندما نتأمل في هذه الآية نجد الرد على منكريِّ البعث من خلال شيئين: وصفهم بالكفر، وذكر ما أعدَّ لهم من الأغلال والنكال، وماينتظرهم من الخلــود الأبديِّ في النار.

وفي ذكر النار وما فيها، وما بعد البعث إثباتُ للبعث و إشــارةُ غلــى أنَّ إنكارهم للبعث متهافتُ، وأنه من البطلان بحيث لايــستحق المحاجــة العقليــة والبراهين؛ فاكتفت الآية في رد شبهتهم بوصفهم بالكفر وتوعدهم بالنار.

وهكذا تتنوّع الآيات وتُعرَض بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، وهذا التنويع والتغاير في الأساليب منهج مقصود، له حِكَمٌ وأسرارٌ..وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧] وتصريف الآيات: تنويعها ونقلها من أسلوب إلى أسلوب.[(٣)] وقد عد الرمانيُّ تصريف المعنى في المعاني المختلفة باباً من أبواب البلاغة.[(٤)]

---

(١) جامع البيان ٣٤٦/١٦، التحرير والتنوير٩٠/١٣ تفسير السعدي ٤١٣/١

(٢) منهج القرآن في الرد على منكري البعث د. مهدي قيس عبدالكريم١٢٥/١.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي، ٢/ ٤٠٩، والتحرير والتنوير، ٧/ ٢٣٥ ، ٥٤/٢٦- ٥٥.

(٤) انظر:(النكت في إعجاز القرآن) ضمن "ثلاث رسائل في الإعجــاز"، ط٢، ١٩٦٨م ، دار المعارف – مصر، ١٠١- ١٠٢.

المثال الثاني

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفرقان]

أورد المشركون في هذه الآيات شبها متهالكة، واقترحوا أموراً للطعن في النبي (ﷺ)، قال الطبري (رحمه الله): فتأويل الكلام: .. وقال المشركون ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ يعنون محمدا (ﷺ)، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا ﴿ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ يقول: هلّا أنزل إليه ﴿ مَلَكٌ ﴾ إن كان صادقاً من السماء، فيكون معه منذراً للناس، مصدّقا له على ما يقول، ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ من فضةٍ أو ذهبٍ، فلا يحتاج معه إلى التصرّف في طلب المعاش ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ يقول: أو يكون له بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾[1] فهذه من جملة مطاعنهم في الرسول (ﷺ)؛ فأوردوا هذه الشبهة الضعيفة بصيغة الاستفهام الإنكاري، قال ابن عاشور

---

(١) تفسير الطبري ١٩/٢٤٠.

(رَحِمَهُ اللَّهُ): فمثار الاستفهام في هذه الآية هو ثبوت حال أكل الطعام والمشي في الأسواق للذي يدعي الرسالة من الله[١].

ولتهافت هذه الشبهه لم يحاجهم القرآن محاجة عقلية، بل اكتفى بوصفهم بأقبح الصفات التي تقشعر منها القلوب المستقيمة والفطر السليمة وهي صفة الظلم

قال ابن جزي: وصفهم بالظلم[٢] والظالمون: هم المشركون، فغير عنوانهم الأول إلى عنوان الظلم وهم هم تنبيهاً على أن في هذا القول اعتداء على الرسول (ﷺ) بنبزه بما هو بريء منه وهم يعلمون أنه ليس كذلك فظلمهم له أشد ظلم.[٣]

ثم وصفهم بالضلال عن الحق وعن بلوغ مرادهم ﴿**فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾ أي: عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَعَنْ بُلُوغِ مَا أَرَادُوا[٤]. ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيه خيراً كثيراً في الدنيا ﴿ **تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا** ﴾ وتوعدهم الله ناراً تستعر بهم وتتقد ﴿ **بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا** ﴾

قال الطبري (رَحِمَهُ اللَّهُ): وأعددنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد

---

(١) التحرير والتنوير ٣٢٧/١٨.
(٢) التسهيل ١٢٥٨/١.
(٣) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٨.
(٤) تفسير القرطبي ٦/١٣.

فنائهم لقيام الساعة، نارا تسعر عليهم وتتقد[1].

فاكتفت الآيات في نقد شبهتهم السخيفة بوصفهم بالظلم، وبأنَّ الله أعد لهم ناراً مستعرةً متقدةً.

فأقوالهم متناقضة مضطربة نابعة من الجهل والهوى يقول السعدي (رحمه الله): فبمجرد النظر إليها وتصورها يجزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها[2]

المثال الثالث

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢١ – ٢٣].

هذه من مطاعن الكفار وشبههم الساقطة، قال ابن جرير (رحمه الله): يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يَخْشَون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكةً، فتخبرَنا أنَّ محمدًا محقٌّ فيما يقول، وأنَّ ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك.[3]

فهذه المقترحات التي اقترحوها، والشبه التي يكررونها ويعيدونها مراراً وتكراراً، نجد الأسلوب القرآني في هذه الآيات لايحاج عبدة الأوثان محاجة

(١) تفسير الطبري ٢٤٣/١٩

(٢) تفسير السعدي١ /٥٧٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٥٤/١٩.

عقلية؛ لأن مجرد نظر العاقل لما اقترحوه يجزم ببطلانه ويكفيه نقله عن رده...ولكنه يكتفي في هذا السياق بذكر بعض أوصافهم القبيحة التي حملتهم على مقولتهم ومطاعنهم فقال تعالى ذكره ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾.

قال الشنقيطي (رحمه الله): والذي لا يؤمن بالبعث لا يخاف لقاء الله، لأنه لا يصدق بالعذاب، ولا يأمل الخير من تلقائه، لأنه لا يؤمن بالثواب[1].

﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوةً عظيمة، فقلوبهم أشدّ من الأحجار وأصلب من الحديد لا تلين للحق، ولا تصغي للناصحين فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البينات بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأي عتو أكبر من هذا العتو[2]. ووصفه تعالى عتوهم المذكور بالكبير، يدل على أنه بالغ في إفراطه، وأنهم بلغوا غاية الاستكبار، وأقصى العتو، وهذه الآية الكريمة تدل على أن تكذيب الرسل بعد دلالة المعجزات، ووضوح الحق وعنادهم والتعنت عليهم بطلب إنزال الملائكة، أو رؤية الله استكبارٌ عن الحق عظيم وعتوّ كبير يستحق صاحبه النكال، والتقريع[3] فما أشدّ استكبارهم وما أكثر عتوهم[4] ولما وصفهم الله سبخانه بجحد اليغث وعدم الإيمان بالآخرى، وببلوغهم غاية الاستكبار، وأقصى العتو، نوعدهم بتبشير الملائكة لهم بالنار وغضب الجبار عند شدائد النزع ومفارقة

---

(١) أضواء البيان ٣٧/٦.
(٢) تفسير السعدي ٥٨١/١.
(٣) أضواء البيان ٣٧/٦.
(٤) البحر المحيط ٤٥١/٦.

هذه الحياة ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) ﴾.

قال ابن جرير الطبري (رحمه الله): أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ لهم، وذلك يَصْدُق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سَموم وحَميم، وظلٍّ من يحموم[١]. وقطع رجاءهم في ثواب الآخرة على أعمال عملوها في الدنيا ظنوا نفعها يوم الحساب ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم وتعبوا فيها ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) ﴾أي: باطلاً مضمحلاً قد خسروه وحرموا أجره وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه[٢].

ونلحظ في هذه الآيات أن الأسلوب القرآني لم يدخل معهم في حجج عقلية لدمغ باطلهم، بل اكتفى بوصف هؤلاء المشركين، وما أعد لهم من العذاب بذكر تبكيتهم عند ساعة الاحتضار بالتبشير بالنار، وفي ذلك ردع وزجر للمتعنتين، وإشارة إلى أن شبهة هؤلاء المجرمين واقتراحاتهم من التهافت بحيث يجزم العاقل ببطلانها.

---

(١) تفسير الطبري ١٠١/٦.

(٢) تفسير السعدي ٥٨١/١.

المثال الرابع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة: ٩ – ١١].

هذه شبهة يثيرها المشركون كثيراً، وهي كيف نبعث خلقاً جديداً بعد ذهابنا في الأرض وفنائنا؟!!..فجاء الرد القرآني في هذا الموضع بأسلوبٍ ليس فيه محاجة عقلية، وإنما اكتفى بوصفهم بالكفر، وتهديدهم بمصيرهم بعد الموت ورجوعهم إلى الله تعالى.

قال السعدي (رحمه الله): أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: ﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: بَلِينَا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ. ﴿ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ ﴾ أي: لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أنَّ هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم.

وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بلقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: ﴿ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ فكلامهم علم مصدره وغايته،

وإلا فلو كان قصدهم بيان الحق، لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر(١).

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ أي: جعله اللّه وكيلا على قبض الأرواح، وله أعوان. ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل اللّه بكم.

ولما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الذين أصروا على الذنوب العظيمة، ﴿ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ خاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: ﴿ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾أي: بان لنا الأمر، ورأيناه عياناً، فصار عين يقين.

﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به، أي: لرأيت أمرا فظيعًا، وحالا مزعجة، وأقوامًا خاسرين، وسؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال.

وكل هذا بقضاء اللّه وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلهذا قال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ أي: وجب، وثبت ثبوتًا لا تغير فيه.

---

(١) تفسير السعدي ١/٦٥٤.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾فهذا الوعد، لا بد منـــه، ولا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولـــم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النـــسيان: نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾أي: تركناكم بالعذاب، جزاءً من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهـــنم – أعاذنا اللّه منه – فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها.﴿بِمَا كُنْـــتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والفسوق والمعاصي(١).

فاكتفت الآية بوصفهم بالإجرام، وذكر ما أعد لهم مـــن العـــذاب.. وهكـــذا تتنوّع الآيات وتُعرَض بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، وهذا التنويع والتغـــاير في الأساليب منهج مقصود، له حِكَمٌ وأسرارٌ..وقد أشار الله سبحانه إلـــى ذلـــك بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

(١) تفسير السعدي١/٦٥٤.

[الأحقاف: ٢٧]. وتصريف الآيات: تنويعها ونقلها من أسلوب إلى أسلوب.(١) وقد عد الرماني تصريف المعنى في المعاني المختلفة بابا من أبواب البلاغة.(٢)

المثال الخامس

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس: ٤٧ – ٥٠]

هذه من شبه الكفار وهي احتجاجهم بالمشيئة في معارضة الحق.والاعتراض بالمشيئة ليس بحجة أصلا؛ يقول السعدي (رحمه الله): والاحتجاج بالمشيئة ليست حجة لعاص أبدا، فإنه وإن كان ما شاء اللّه كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه تعالى مكَّن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارا منهم، لا جبرا لهم ولا قهرا(٣).

نلاحظ في هذه الآيات أنها لم تأت بالحجج العقلية في الرد غلى هؤلاء الكفار المحتجين بالمشيئة بل اكتفتهم بوصفهم: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي، ٢/ ٤٠٩، والتحرير والتنوير، ٧/ ٢٣٥ ، ٢٦/٥٤– ٥٥.
(٢) انظر: (النكت في إعجاز القرآن) ضمن "ثلاث رسائل في الإعجاز"، ط٢، ١٩٦٨م، دار المعارف – مصر، ١٠١– ١٠٢.
(٣) تفسير السعدي ٦٩٦/١.

وإظهار الموصول من قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في مقام الإضمار مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: قالوا أنطعم إلخ؛ لنكتة الإيماء إلى أن صدور هذا القول منهم إنما هو لأجل كفرهم ولأجل إيمان الذين سئل الإنفاق عليهم[١]

ووصفهم باستعجال العذاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال الطبري (رحمه الله): يستعجلون ربهم بالعذاب[٢] وتهددهم بالصيحة التي تفزع منها القلوب: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفَزَع عند قيام الساعة[٣] ومن شدة هولها وخطبها أعجلوا عن الوصية عما في أيديهم كما قال قتادة[٤] وهذا أسلوبٌ من أساليب القرآن حيث أكتفي بوصف قائل الشبهة، وتهديده بما ينتظره من الخوف والوجل والأهوال. وهكذا تتنوّع الآيات وتُعرَض بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، وهذا التنويع والتغاير في الأساليب منهجٌ مقصود، له حِكَمٌ وأسرارٌ.. وهو من تصريف الآيات وتنويعها ونقلها من أسلوبٍ إلى أسلوب.

---

(١) التحرير والتنوير٣٢/٢٣.

(٢) تفسير الطبري ٥٢٧/٢٠.

(٣) تفسير الطبري ٥٢٨/٢٠.

(٤) تفسير الطبري ٥٣٠/٢٠.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات....وبعد التطواف في هذا البحث؛ فقد توصلت إلى النتائج والتوصيات التالية:

١- أساليب القرآن الكريم وفنونه البليغة تستحق الإفراد بالدراسة والرسائل العلمية؛ بل هي من المقاصد التي ألفت من أجلها بعض المصنفات الكبار، مثل "البرهان في علوم القرآن للزركشي".

٢- الاستغناء بالشيء عن الشيء من طرائق العرب قي الكلام، كما قال سيبويه: والعرب تستغني بالشيء عن الشيء.

٣- تنوع الأساليب في القرآن ضربٌ من ضروب البلاغة.

٤- القرآن الكريم لايغادر مسلكاً إلى ناحيةٍ من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضاً أو تحذيرا.

٥- تنوع أساليب القرآن في الرد على المخالفين والمعارضين.

٦- الأمثلة التي ذكرت ليست على سبيل الحصر، فهناك آيات يقال فيها ماقيل في الأمثلة التي ذكرنا مثل:

أ- قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾** ﴾ [الصافات: ١٥ – ١٩].

ب- قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾**

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص: ٧٥ – ٧٨]

ج- قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ [القمر: ١ – ٣]

د- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٥ – ١٩].

هـ- قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المدثر: ٥٢ – ٥٣]

٧- القرآن الكريم معجزة خالد في أسلوبه وفي إخباره عن المغيبات وفي تشريعاته.

٨- التدبر والاستنباط يأتي بعد التفسير، والوقوف على معاني الآي الكريم.

والله أسأل التوفيق والسداد وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، وأن يجنبنا الخطأ والخلل في فهم كتابه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١ الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ). تحقيق: أحمد علي - دار الحديث القاهرة - سنة الطبع ١٤٢٧هـ.

٢ أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ) مكتبة التراث الإسلامي – مصر القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: (١٣٩٣هـ – الدار التونسية للنشر– تونس – سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤ تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي – دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى.

٥ التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان – المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – سلسلة الرسائل الجامعية ١٤٣٠هـ.

٦ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

٧ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع.

٨ تفسير جزء عم للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـــ دار الثريا ــــ ط: الأولى ١٤٢٣ه.

٩ تفسير جزء عم للدكتور مساعد الطيار– دار ابن الجوزي – الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ.

١٠ جامع البيان في تأويل آي القرن لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠)، مؤسسة الرسالة – تحقيق أحمد شاكر – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١١ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت: ٦٧١) تحقيق: د.عبدالله التركي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى.

١٢ خطبة الحاجة التي كان رسول الله (ﷺ) يعلمها أصحابه، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف الطبعة الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

١٣ دلائل الإعجاز للإمام أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت: ٤٧٤هـ)، مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر)، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٤ زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي–: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى–

١٤٢٢هـ.

١٥ سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

١٦ سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – سنة النشر: ١٩٩٨ م.

١٧ السنن الكبرى، لأحمد بن بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

١٨ شرح مقدمة التفسير (شيخ الإسلام ابن تيمية ت: ٧٢٨) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين دار الوطن للنشر – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٩ فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٠ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨) دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢١ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٢ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبـو الفـضل، جمـال الـدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتـوفى: ٧١١هـــ) دار صادر – بيروت

٢٣ مباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مـسلم، الناشـر: دار القلـم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٤ مجمع الأمثال لأحمد بن محمـد الميـداني، دار المعرفـة بيـروت، ت: محمد محي الدين عبدالحميد.

٢٥ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبـي محمـد عبـد الحـق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطيـة الأندلـسي المحـاربي (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتـب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٢٦ المحرر في أسباب النزول (من خلال الكتب التسعة) د.خالد بن عبدالله المزيني - دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية - الـدمام - الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.

٢٧ المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبـو شُـهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٨ منهج القرآن في الرد على منكري البعث أ.م.د. مهدي عبدالكريم قيس - جامعة كويا- أربيل.

٢٩ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبـد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فـضلية، قـدم لـه: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني.

الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعـة: طبعـة مزيـدة ومحققـة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٠ نظرات لغوية في القرآن الكريم أ.د. صالح العايد- دار كنوز إشـبيليا للنشر والتوزيع ـ ط الثالثة - ١٤٢٥هـ.

٣١ النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمـد بـن حبيـب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيـق: السـيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتـب العلميـة - بيـروت / لبنان.

٣٢ (النكت في إعجاز القرآن) ضمن "ثلاث رسائل في الإعجـاز"، ط٢. دار المعارف - مصر.

٣٣ نهاية الأرب في فنون الأدب- لشهاب الدين أحمد بن عبـد الوهـاب النويري دار الكتب العلمية بيـروت / لبنـان - ١٤٢٤ هـ - ط: الأولى.

فهرس الموضوعات



